ثم ذكر ما يدل على وجوب اسلام الوجه الى الله تعالى فقال والى الله عاقبة الامور
فان من تعلق بتدبير عاقبة الامر وتقديرها كيف لا يسلم المرء نفسه اليه
قوله ويستمسك مستفيض فان اللغة الشايعة هي الثلاثي الجوهري حزنت الرجل
بالكسر فهو حزن وحزين واحزنه غيره وحزنه ايضا مثل اسلكه وسلكه ومحزون بني عليه قال
اليزيدي حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وقد قرئ بهما انتهى كلامه قوله ثم نضطرهم الى عذاب
غليظ بان يسلط عليهم ملائكة غلاظ شداد يعذبونهم اغلظ عذاب فيحاذرون دخول النار عن
اضطرار وفرارا من عذاب هؤلاء الملائكة الذين يعذبونهم بمقامع من نار فان
الاكراه انما ينافي الرضا دون الاختيار فان المضطر يعرف الشرين فيختار اهونهما فلو
وجد اخف لطيف وهوانهم لما كذبوا الرسل ثم بيتهم الامر وقع عليهم من الحجاب ما يكون
دخول النار اهون عليهم من الوقوف بين يدي ربهم بحضرة الانبياء مع تلك الحالة
فيحاذرون دخولها عن اضطرار قوله يثقل عليهم ثقل الاجرام يعني ان الغليظ صفة
مشبهة تنبئ عن الثقل والكثافة وعن التراكم والانضمام وعلى التقديرين لا يوصف به
العذاب حقيقة لكونه وانما يوصف به الاجرام والاجسام فوصف العذاب به
يحتمل التشبيه العذاب الواقع عليهم بالجرم الثقيل او بالاجرام المتلاصقة المنطبقة
بعضها على بعض استعارة بالكناية وعلى التقديرين يكون اثبات الغلظة له سواء كانت بمعنى
الثقل او الانضمام تخييلا للاستعارة بالكناية ثم انه تعالى بين استحقاقهم
للعذاب الغليظ ببيان ان كفرهم ابلغ وجوه الكفر من حيث انهم ينكرون ما اضطروا الى الاقرار
فان اعترافهم بان خالق السموات والارض وما بينهما هو الله تعالى يستلزم الاعتراف بانه
يستحق العبادة لا غيره ومع هذا ينافي قصدوا انفسهم بالاشراك ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم
بان يحمد الله على ظهور صدقه وكذب مكذبيه باعترافهم على انفسهم بالكذب والضلال ثم قرر
ما اقروا به من تفرده تعالى بالخالقية بتقرير ان ما فيهما من الجواهر والاعراض لله تعالى
ملكا وملكا فكيف يكون شئ منها شريكا له فقال لله ما في السموات والارض ثم لما بين ان السموات
والارض وجميع ما فيهما محتاج الى الله تعالى من جميع الوجوه ثبت انه تعالى هو الغني المطلق
والحميد المطلق لان كل محتاج اليه تعالى يحمده في خاصة بلسان الحال او المقال فمن كان
غنيا مطلقا يكون حميدا مطلقا قوله ولو ثبت كون الاشجار اقلاما اشارة الى ان
ما بعد لو موضع المفرد لكونه فاعلا لفعل مقدر لان لو يطلب الفعل لفظا او تقديرا فقوله لو انكم
قائم تقديره لو وقع قيامك والفاعل يجب ان يكون مفردا فلذلك فتحت كلمة ان الواقعة بعد لو وانها في

وما في قوله تعالى ولو ان ما في الارض موصولة في محل النصب
على انها اسم ان واقلام خبرها ومن شجرة في محل النصب
على انه حال من المنوي في قوله قوله وتوحيد شجرة مع ان الظاهر
ان يقال من شجر بلفظ اسم الجنس الدال على العموم لان المراد
بما في قوله ما في الارض العموم بدليل الاخبار عنه باقلام فالوجه ان يؤتى
باسم الجنس الا انه اتي بلفظ شجرة الدال على الوحدة لان المراد
تفصيل الشجر آحاد شجرة شجرة الى ان لا يبقى من جنس الشجر آحاد كثيرة ولا شجرة
واحدة الا وقد بريت اقلاما وهذا المعنى انما يستفاد من افراد الشجرة
ولو قيل من شجر لدل على انه لا يبقى من اجناس الشجر جنس الا بري
اقلاما ولا يدل على تناول الحكم لكل فرد وهذا قريب مما قيل ان استغراق
المفرد اشمل من استغراق الجمع قوله يمده من بعده سبعة ابحر بان يكون سبعة
ابحر مددا للبحر المحيط الذي فرض كونه بسعته مدادا وهو النقس الذي يكتب ويقال
له المركب فقد عبر عن معناه بتصييره مددا له يزيده وينصب فيه من بعده اي من خلفه والمقصود
كما يتوقف على ان يفرض كون الاشجار للارض اقلاما يتوقف ايضا على ان يفرض
كون البحر المحيط الممدود بسبعة ابحر مدادا فعلى هذا كان الظاهر ان يقال والبحر مدادا
من خلفه سبعة ابحر لكن لم يذكر المداد اكتفاء بما ذكر ما يدل عليه وهو قوله يمده فانه
من مد الدواة وامدها اذا صب فيها المداد فيكون البحر الاعظم بمنزلة
الدواة والابحر التي خلفه بمنزلة المداد وفي الاية اختصار يسمى حذف الجار لدلالة
السياق على المحذوف وتقدير الكلام ولو ان الاشجار للارض اقلام والبحر ممدود
بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله تعالى
لما نفدت الاقلام والمداد ونظير هذه الاية في اشتمالها على الايجاز
الحذف قوله تعالى او به اذى من رأسه ففدية اي فحلق راسه لدفع ما به من الاذى
ففدية قال الامام قوله سبعة ابحر ليس لحصر الابحر في سبعة
بل المراد الاشارة الى كثرة المستمد لو كانت الف بحر وخصت السبعة بالذكر
من بين اسماء الاعداد لكونها عددا يحصر اكثر المعدودات الا يرى ان كل احد
لا يخرج عن زمان ومكان والزمان منحصر في سبعة ايام والمكان منحصر في سبعة اقاليم
وان الكواكب السيارة سبعة وكانت السموات سبعا والارضون سبعا

Copyright © King Saud University